التنغيم في اللغات، العربية والإنجليزية نموذجًا

INTONATION IN LANGUAGES, ARABIC AND ENGLISH MODELS

أ. د.هيفاء شاكري*

ABSTRACT:

We find so many qualities in the Arabic language which make the Arabic one of the most important languages in the world literarily and traditionally. We also found that the Arabic language shares some of its qualities with the other languages and the example is INTONATION found in the English language also. The definition of the intonation is as follows:

Intonation: Is variation of spoken pitch that is used to distinguish words. It is used for a range of functions such as indicating the attitudes and emotions of the speaker.

The topic of my article is to compare between the intonations in the both languages and to show how deeply this quality goes into the literary aspects of the both languages.

KEYWORDS: Arabic, Languages, English, Intonations, Traditionally

الكلمات المفتاحية: العربية ، لغات، الانجليزية ، الترنيم ، رواية

الملخص

توجد في اللغة العربية خصائص كثيرة تجلعها من أهم لغات العالم تراثًا وأدبًا. وقد اشتركت اللغة العربية مع اللغات الأخرى في بعض الخصائص ومنها خاصية وظاهرة التنغيم التي وجدناها في اللغة الإنجليزية أيضًا.

والتنغيم في العربية إطالة الصوت وتنغيمه على أحرف اللين. أما النبر: فهو نشاط في جهاز النطق، وعند النبر نجد نشاطًا لعضلات الرئتين وقوة حركات الوترين الصوتيين.

واستخدم الأدباء الإنجليزيون نفس هذه الظاهرة في لغتهم وهم يعرّفونها بقولهم:

* **أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، الهند**

Intonation: Is variation of spoken pitch that is used to distinguish words. It is used for a range of functions such as indicating the attitudes and emotions of the speaker.

وموضوع بحثنا هو مناقشة الظاهرتين وربطهما بيئة التراث العربي الأصيل.

المقدمة:

تميزت اللغة العربية بخصائص متميزة وسمات فريدة لا توجد في لغة أخرى، ويكفي شرفًا للغة العربية أن تكون لغة القرآن الكريم الذي لم يكن للعرب وحدهم بل لجميع البشر باختلاف ألوانهم وأجناسهم.

واللغة بشكل عام هي كالمرآة التي نشعر من خلالها بجرس الألفاظ ونغمات التعبير وطريقة الأداء وصفات وملامح شخصيات أصحاب اللغة والعقلية والسمات والطبائع والعادات والأخلاق.

وتشتمل العربية على خزائن قيمة في تراثها نحن في أمس الحاجة إلى كشف هذه الكنوز واستخراجها ثم ربطها بما هو جديد من نظريات علمية، وبيان قيمتها النقدية لنظهر أمام العالم أجمع أهمية هذا التراث القويم وأنه لا يقل قيمة في جماله وقوته ومرونته وحيويته عن أي لغة سواء كانت شرقية أو غربية. وذلك لا يأتي إلا عن طريق الحوار الإيجابي الذي نعاني من غيابه،مع العلم أنه من غير المعقول أن يحصل أي تقدم ما لم نتعرف على الآخر، ومحاورته في فكره وثقافته وتراثه.وهذا عنصر مهم في التفاعل والتبادل بين الشعوب،لذلك فإنه من الضروري أن نقرأ التراث ونستخدمه في حوراتنا مع الشعوب الأخرى.

وهناك مئات اللآلئ التي تحتوي عليها كنوز التراث الأدبي واللغوي للغتنا العربية،انتقيت منها لؤلؤة قيمة للدراسة والبحث.

والتنغيم: هو إطالة الصوت وتنغيمه على أحرف اللين.أما النبر: فهو نشاط في جهاز النطق، وعند النبر نجد نشاطا لعضلات الرئتين وقوة حركات الوترين الصوتيين.

وقد تحدث عن التنغيم ابن جني في كتابه الخصائص حيث ذكر نصا لسيبويه ليدل على حذف الصفة وما يحدثه هذا الحذف من أثر على معنى الكلمة أو الجملة وتركيب الكلام وارتباط الدلالة الصوتية بظاهرة التنغيم.و سيتم ذكر النص في البحث بإذن الله تعالى.

وتدرس ظاهرة التنغيم اليوم في الجامعات في أنحاء العالم على أنها ظاهرة اكتشفها الغرب في الأربعينيات،ولكننا نرى من نص سيبويه أن التنغيم قد وجد في العربية منذ البداية وقد اكتشفه العلماء

وتحدثوا عنه.ستدور الورقة حول قراءة هذه الظاهرة في التراث بذكر أمثلة متعددة ومقارنتها بما يوجد من مثيلاتها في اللغة الإنجليزية وبيان أهمية النصوص العربية والتراث القيم وما يمتاز به من مرونة وورنق وجمال.وخصائص لا تجعلها تتخلف عن لغات العالم المتقدم بأي حال من الأحوال.

وسيكون هناك ذكر لآراء علماء الغرب والمستشرقين حول هذه الظاهرة،وكيفية ربطها بالنظريات العلمية والنقدية الحديثة التي ظهرت في العصر الحديث.وتوجد أمثلة كثيرة على هذه الظاهرة في القرآن الكريم والأحاديث والشعر العربي،وسأقوم بمناقشتها كذلك في الورقة.

أما التنغيم كما عرفه الغرب فهو:

Intonation: Is variation of spoken pitch that is used to distinguish words. It is used for a range of functions such as indicating the attitudes and emotions of the speaker.

وقد ظهر التنغيم في النقد الغربي في فترة الأربعينيات.وهناك نظريات معينة تدور حول هذه الظاهرة،سوف نناقشها في البحث الكامل إن شاءالله.إضافة إلى التحديات التي يواجهها الباحث العربي في قراءة التراث وضرورة تقبل النقد والاختلاف والمراجعة.

أدعو الله تعالى أن أوفق في تقديم الفكرة وتوضيحها.و بيان أهمية قراءة التراث الأدبي و اللغوي كضرورة علمية لمواجهة تحديات العصر.

إن اللغة التي يتحدث بها الإنسان هي أقرب شيء لحياته، لذلك فهو يعتني بها و يوليها من الاهتمام و الدراسة المنظمة العميقة قدرا كبيرا، وقد بذل العلماء و المفكرون جهودا جبارة في دراسة اللغة من خلال المناقشات و الأبحاث و الندوات و المؤتمرات، و كل لغات العالم تحظى بهذا الاهتمام من قبل أصحابها و متحدثيها، و لأن اللغة العربية تتمتع بخصائص متميزة لا تتمتع بها لغة أخرى في الكون، و لذلك حظيت من الدراسة و الاهتمام ما لم تحظ به أي لغة من اللغات المتداولة أو المندثرة.

ويكفي شرفا للغة العربية أنها لغة كتاب الله العزيز، لغة القرآن الكريم، الذي خاطب الله به جميع البشر من جميع الأجناس، و بذلك انتشرت العربية في جميع الأنحاء. و أقبل عليها العلماء و الرواد يدرسونها و يبينون ما خفي من أسرارها في بلاغتها و نحوها و صرفها. و هناك سلسلة طويلة و فهرس لا ينتهي إذا أردنا أن نذكر هؤلاء العلماء من العرب و غيرهم، ويمكن أن نذكر على سبيل المثال سيبويه صاحب "الكتاب"، و قد ذكرته هنا لأن نصا من كتابه سيذكر في هذا البحث كأساس لدراسة ظاهرة التنغيم.

وليس من الغريب أن يهتم علماء الغرب أيضا باللغة العربية بسبب ما خلفه علماء العربية من مؤلفات و تصانيف، فانتبه إليها هؤلاء، و وقفوا مستغربين أمام قوتها و كمالها و حيويتها. هناك الكثير منهم من شهد لها بذلك و لو أن العربية لا تحتاج إلى شهادة أحد لتكون أفضل اللغات. يقول أرنست رينان صاحب "الموسوعة المسيحية":

"فهذه اللغة المجهولة التاريخ تبدو لنا فجأة بكل كمالها و مرونتها و ثروتها التي لا تنتهي. لقد كانت هذه اللغة منذ بدايتها بدرجة من الكمال تدفعنا إلى القول بإيجاز: إنها منذ ذلك الوقت حتى العصر الحاضر لم تتعرض لأي تعديل ذي بال. فاللغة العربية لا طفولة لها و ليس لها شيخوخة أيضا، منذ ظهرت على الملأ و منذ أنتصاراتها المعجزة، و لست أدري إذا كان يوجد مثل آخر للغة جاءت إلى الدنيا مثل هذه اللغة من غير مرحلة بدائية، ولا فترات انتقالية، ولا تجارب تتلمس فيها معالم الطريق"

وهذا فقط مثال واحد من بين مئات الأمثلة على الاهتمام و العناية بالعربية من أصحابها و غيرهم.

وما تحتويه و تحمله العربية بين جنباتها من تراث قويم، من الصعب جدا الإحاطة به و دراسته في فترة زمنية قصيرة، و هنا يطرح السؤال نفسه: لماذا نقرأ التراث و نهتم به هذا الاهتمام؟ و طبعا الإجابة ليست بسيطة و إنما تحتاج إلى دراسة و تفكير و مناقشة.

فالتراث الأدبي و اللغوي هي نافذة نطل منها على التجارب الإنسانية المختلفة، وبالنسبة للعربية فهي التجارب التي ارتبطت بخير الأديان و خير الكتب، فنستفيد منها وننهل من معينها الذي لا ينضب، و تراث العربية ليس تجربة الأمة العربية وحدها و إنما هي بوتقة انصهرت فيها الحضارات الأخرى من بقاع العالم المختلفة. و ارتباط هذا التراث بالقرآن الكريم منحه معالم متميزة و علوما مختلفة من بلاغة و نحو و صرف التي كثيرا ما استمدت أساسها من النص القرآني،و الحديث النبوي الكريم، إضافة إلى ذخيرة العرب الكبيرة من الشعر الأصيل الذي يقف كجدار قوي أمام التحديات و الهجمات المتواترة على هذا التراث الأصيل. و تراثنا الأدبي و اللغوي له حضور فاعل لا بين الأصول العربية حسب بل في قلب كل مسلم باختلاف البلدان و الديار.

ورغم المحاولات العديدة و الهجمات الشديدة التي قام بها أعداء العربية على تراثها و ثقافتها، و دعوتهم إلى فصل هذا التراث عن تيار الفكر الجديد و ما يسمى بالحداثة و التجديد إلا أنه بقي محافظا على هويته و مكانته، و قام وما زال يقوم بدور فعال و متميز في ربط الماضي العريق بالمستقبل الزاهي بإذن الله، لكن ذلك لن يحدث إلا إذا قمنا بدراسة هذا التراث دراسة عميقة متأنية و أثبتنا أن تراثنا ليس تراثا جامدا، منغلقا على نفسه، يدور في مداره، و لكنه تراث يملك قدرة الوصول إلى آفاق جديدة،

بالحفاظ على ماضيه المرموق، يمكنه أن يكتشف سبلا جديدة، و يثرينا بآراء لا تقل حداثة عن أي علم من علوم العالم أجمع. و إذا كان هذا يمثل تحديا أمام المهتمين بالعربية و القائمين على المشكلات التي تواجهها، فإن هناك تحد آخر مهم جدا، وهو تقريب هذا التراث من فكر و أذهان أبنائنا و طلابنا وتيسيره لهم بطريقة تجعلهم يتذوقون حلاوته وعذوبته، و يدركون مدى أهميته حينما يلاحظون تفوقه على تراث وعلوم اللغات الأخرى، فيعتزون به ويشعرون بالفخر لإنتمائهم العربي الأصيل.

وقد حاولت أن أقوم بخطوة بسيطة متواضعة في هذا المجال، ولا أدعي أنني تعمقت في سبر أغوار هذا التراث الذي ارتبط به برابطة الدين واللغة، وللكنني لاحظت وجود ظاهرة التنغيم في كثير من الآيات و الأحاديث و الأشعار والأمثال العربية، ثم عندما قرأت أكثر عن هذه الظاهرة وجدت أنها موجودة في لغات أخرى منها الإنجليزية، فبحثت عن أصلها في العربية و قارنت ذلك بما يوجد من مثيلاتها في اللغة الإنجليزية، واتخذت ذلك نموذجا لبيان أهمية التراث الأدبي واللغوي و ربطه بكل ما هو جديد مجال البحث اللغوي.

ما اتخذته أساسا لهذا النموذج هو نص لسيبويه[1] ذكره ابن جني[2] في كتاب الخصائص،

والنص هو:(وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها،وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سيرعليه ليل،وهم يريدون:ليل طويل.وكان هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها،وذلك أن تحس في كلام القائل من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك.وأنت تحس هذا من نفسك إذا ما تأملته،وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول:كان والله رجلا،فتزيد في قوة اللفظ (الله) هذه الكلمة وتتمكن من تمطيط اللام و إطالة الصوت بها وعليها.أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك...[3]

فسيبويه يتحدث عن أسلوب التقديم و التأخير وما يعطيه من جرس موسيقي للكلمات يجعل النفس الإنسانية تشعر به، وهذا النص يساعدنا على وضع الأسس التي اعتمد عليها القدماء في تنغيمهم للكلام، وإعطاء نغمة الجملة المعنى العاطفي المراد، فنجد في النص ثلاثة أسس رئيسية للتنغيم و هي:

١ – طريقة ترتيب الكلام.

٢ – النبر أو الضغط

٣ – أحرف اللين

ففي قولنا "سير عليه ليـ يـ يل" نلاحظ أن نائب الفاعل تم تأخيره عن فعله، و فصل بينهما بجار و

مجرور، وهذا ما يجعلنا نستطيع أن نمد و نطيل في كلمة "لي ي يل" للدلالة على الصفة المحذوفة و المقصد المراد و هو ليل طويل جدا. والمعروف في العربية أننا نعتمد في أغلب الأحيان على حروف اللين عند إطالة الصوت و تنغيمه.

يقول د.إبراهيم أنيس في"الأصوات اللغوية":

"فلطول الصوت أهمية خاصة في النطق باللغة نطقا صحيحا، و إن المران السمعي يكفي عادة في ضبط هذا الطول دون حاجة إلى المقاييس الآلية. أما العوامل المكتسبة التي تؤثر في طول الصوت اللغوي فأهمها النبر، و نغمة الكلام، و ربما كان لنحو اللغة أثر أيضا في طول الصوت أحيانا"[٤]

والمرء حين ينطق بلغته يميل إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ليجعله بارزا في السمع عن غيره من مقاطع الكلمة. وهذا الضغط نسميه النبر.[٥]

مثال آخر هو الوقف على كلمة نستعين في قوله تعالى:"إياك نعبد و إياك نستعين"[٦]، أو على المستقر في قوله تعالى:"إلى ربك يومئذ المستقر"[٧]، ففي تأخير الفعل نستعين بمد الياء و إطلاق النبر في مقطع (عين) والوقوف على النون نستطيع أن نقدر الكلام المحذوف و هو(نستعين عونا كبيرا واسعا)، فلو كان الكلام (نستعين بالله) لما أخذ ذلك الأثر النفسي و المعنوي للسامع و القارئ الذي يوجد في التعبير القرآني. وكذلك في كلمة مستقر و الوقوف عليه دلالة على كون المستقر إلى رب العالمين هو الأخير والنهائي.

وفي قول ابن جني بيان للمعنى المحذوف، ولوكان الكلام: سير ليل عليه، لما دل تلك الدلالة المعنوية و النفسية، بمعنى ليل طويل. كذلك كان المعنى: نستعين بك عونا كبيرا.

والمثال الثاني في النص هو: كان والله رجلا، وهذا المثال يأتي به أبن جني و يفصل بين الفعل الناقص (كان) وبين جبره بالجملة الاعتراضية وهي جملة القسم (والله)، ونسطيع من خلال تمطيط لفظ الجلالة و تفخيمه مع لفظ النبر بقوة في نهاية (رجلا) أن نستنتج بأنه كان رجلا فاضلا كريما.

فليس النبر وحده يعطينا نغمة الكلام، ولكنه فرع من عدة أشياء تجتمع لإعطاء نغمة الكلام التاثير المراد، "فالمعروف أن بعض الأصوات و بعض التراكيب الصوتية ذات قوة تعبيرية عن المعنى وملائمة لهذا المعنى بوجه خاص . وهذا هو معنى رمزية الصوت".[٨]

ولنذكر آية أخرى تثبت ما ذكر من قول، ففي قوله تعالى: "و من يتق الله يجعل له مخرجا"[٩]. وهنا يتقدم الجار و المجرور على المفعول به، ومن خلال إظهار النبر على المقطع (جا) في لفظنا ومدنا للألف يعطينا

معنى جديدا، وهو (مخرجا عظيما أو كبيرا)، فلوكان الكلام: يجعل مخرجا له، لما أفاد المعنى نفسه الذي ورد في القرآن الكريم.

وفي مثال الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص حيث سأله الرسول صلى الله عليه و سلم عن قوله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت، فأخبره الرسول صلى الله عليه و سلم بأنه لا يستطيع ذلك، وأن أفضل الصيام هو صيام داود، فقال الرسول:" فصم يوما وافطر يوما، فذلك مثل صيام داود، وهو أفضل الصيام"[١٠]

ففي مدنا لكلمة الصيام و نهاية الكلام عليه دلالة واضحة على كونه أفضل أنواع الصيام، "و لا أفضل من ذلك". كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي مثال الشعر يمكن أن نذكر شعر الأعشى[١١]:

وصل على خير العشيات والضحى　　　ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا[١٢]

فاستخدم صيغة المثنى للمفرد استنادا إلى قول العرب: افعلا ذلك، والمخاطب واحد.وفي تمديدنا لكلمة (فاعبدا) دلالة على عبادة الله وحده لا شريك له.

هذه بعض الأمثلة من الكم الهائل من الأمثلة و الدلائل على وجود التنغيم و النبر في اللغة العربية.

أما إذا أتينا إلى اللغة الإنجليزية فقد اكتشف فيها التنغيم في الأربعينيات كما ذكر، وهناك تعاريف عديدة ذكرت إحداها سابقا والآخر هو:

Intonation is a melody or music of a language. It refers to the way the voice rises and falls as we speak.

فعندما نقول:

It's raining, isn't it?

فإننا نخبر عن نزول المطر إذا استجدمنا أسلوب الإخبار.ويمكن أن نستخدم نفس الكلمات في سؤالنا عن المطر إن كان نازلا أم لا، ولكن نستخدم أسلوب الاستفهام.فهنا تختلف نبرة الكلام تماما و ذلك ما يسمى في اللغة الإنجليزية بـ Intonation وله في الإنجليزية أربعة أنواع:

١- Falling tone

٢- The low rising tone

The high rising tone -٣

The fall rise tone -٤

فالأول هو التنغيم المنخفض الذي يستخدم كثيرا و يدل على تمام الكلام، وخاصة أثناء المحادثة حيث يستطيع السامع أن يعرف متى يبدأ في الكلام.

والثاني المنخفض العالي الذي يبدأ منخفضا ثم يرتفع، و يستخدم في السؤال عن المجهول.

والثالث التنغيم العالي المرتفع الذي يبدأ عاليا و يرتفع تدريجيا، وذلك في موقف عاطفي مثل التعجب أو الاستنكار.

والرابع هو التنغيم المنخفض المتميز والذي تظهر فيه الموسيقى بشكل واضح.

الأمثلة:

I'm flying to Riyadh tomorrow.
Flying to Riyadh? (repetition)

I'm taking up Taxidermy this autumn.
Taking up what? (clarification)

He passed his driving test.
He passed? (disbelief)

وهكذا نرى أوجه التشابه و الاختلاف في التنغيم بين اللغتين، ويهمنا هنا أن نثبت العلاقة بين تراثنا القويم وبين العلوم اللغوية الحديثة، والكشف عن الجوانب الأخرى المتعددة لهذا التراث، وما ذكرته عن ظاهرة التنغيم ليس إلا نموذج واحد من بين آلاف الظواهر تحتاج إلى إعادة النظر والربط بينها وبين الحداثة وإظهار التنوع والاختلاف.

الخاتمة:

وبذلك نرى أن التنغيم سمة لغوية موجودة و مستعملة بشكل واسع في اللغتين على مسار ونطاق واسع؛

لكن لأغراض مختلفة، و هو بحث يمكن أن يمتد إلى عشرات الصفحات، وعلينا بالدراسة المتعمقة لشروط ومواقع وقوانين وضوابط التنغيم في اللغتين و مقارنتها وذلك لتطوير المهارة اللغوية و الشعور بالانتماء إلى أفضل تراث أدبي و لغوي مع استقبال كل جديد و مفيد واعتراف بقيمة العلوم الأدبية الأخرى والارتباط و التواصل بها. وعلينا أن ندرك أن الجانب الإبداعي مهم جدا في دراسة النصوص، وعلينا أن تذوق هذه النصوص بالاستعانة بألفاظ القرآن و مفرداته و تراثنا القويم مع ضرورة ربطه بالحداثة و التجديد للتواصل بين الأمم و المساعدة في تكوين عالم يتمتع بالأمن والسلام.

المراجع والحواشي

[١] سيبويه: (توفي ٧٩٦)، أبو بشر عمرو بن عثمان، ولد في البيضاء قرب شيراز و توفي بها. إمام مذهب البصريين.صاحب الكتاب المعروف في النحو (الكتاب)

[٢] ابن جني: (٩٤٢– ١٠٠٢)، عثمان، ولد في الموصل، وتوفي في بغداد، نحوي بصري، له (سر صناعة الإعراب)، و (الخصائص) وكتب أخرى

[٣] الخصائص ٢٧٠/٢

[٤] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دار العلوم جامعة القاهرة، ١٩٦١م، ص ١٠٥

[٥] المصدر السابق. ص ١٠٨

[٦] سورة الفاتحة: الآية ٥

[٧] سورة القيامة: الآية ١٢

[٨] ستيفن أولمال، دور الكلمة في اللغة، ترجمة:كمال محمد بشر، ص٩٢

[٩] سورة الطلاق.الآية

[١٠] متفق عليه

[١١] الأعشى: ميمون بن قيس.توفي (٦٢٩)، شاعر جاهلي أدرك الإسلام،ولد في اليمامة.يعرف بالأعشى الأكبر. يلقب بصناجة العرب، لمتانة شعره و موسيقاه.أشهر قصائده اللامية

[١٢] ديوان الأعشى. ص ١٨٧. نقلا عن فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي.